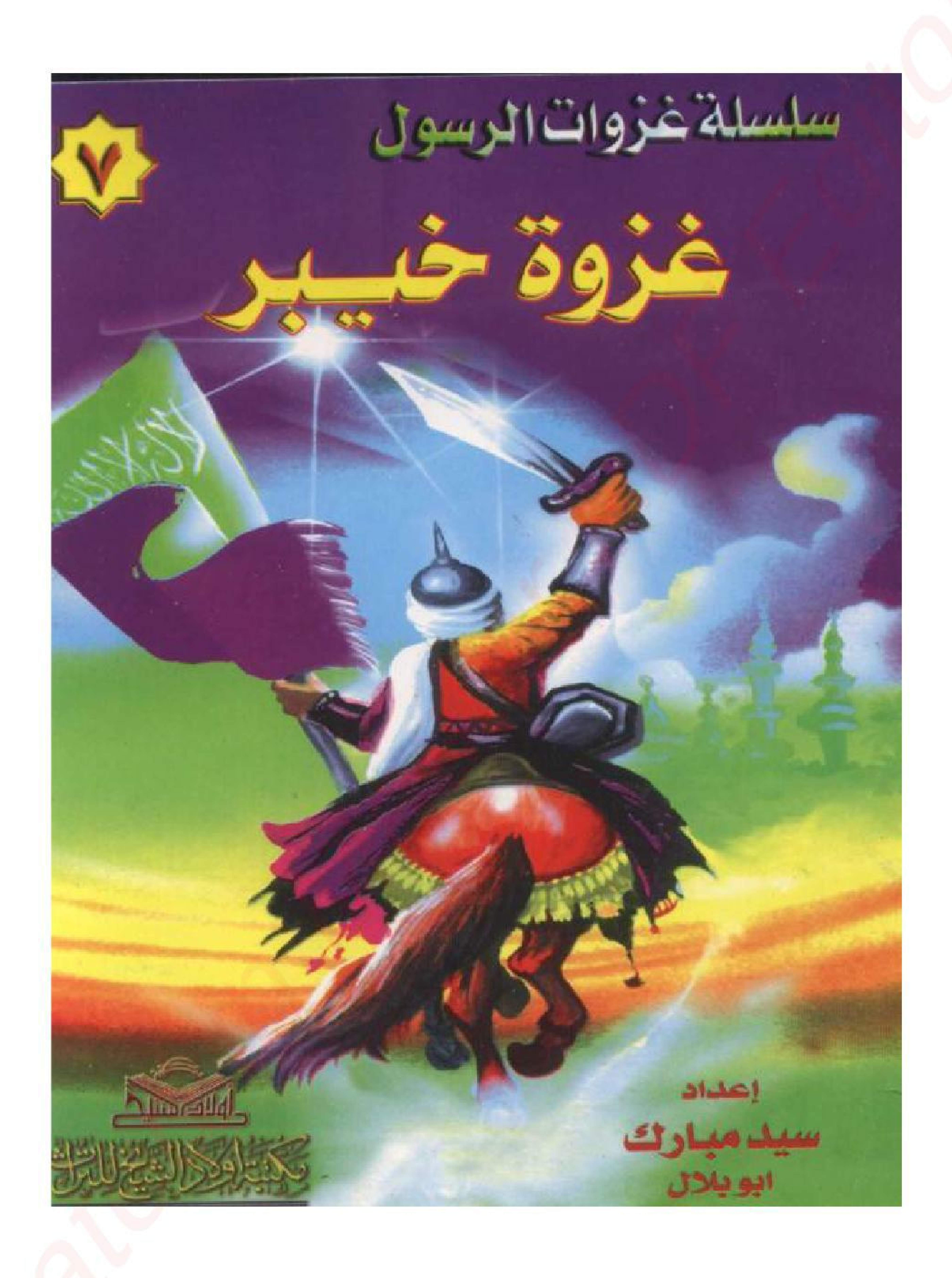

سلسلة غزوات الرسول
٧
غزوة خيبر
إعداد
سيد مبارك
ابو بلال
مكتبة أولاد الشيخ للتراث

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

رقم الإيداع	١٠٨٨٦/ ٢٠٠٢
الترقيم الدولى	977- 5986- 62-1





• ٣٦ ش اليابان خلف قاعة سيد درويش ت: ٥٦٢٨٣١٨
• ٤٢ ش إبراهيم عبد الله من ش المنشية الطوابق فيصل ت: ٧٤١٠٧٠٤

التجهيز الفنى: إبراهيم حسن

ت: ٥٦٠١٠٠٨

غـزوة خيبر

خيبر مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع، وهى على بُعد ستين أو ثمانين ميلاً من المدينة من جهة الشمال.

وهى أيضًا مركز تجمُّع اليهود ونشر كيدهم إلى الخارج، وفى السنة السابعة من الهجرة وبالتحديد فى أواخر شهر محرم، أراد النبى ﷺ محاربتهم ليعم الأمن والسلام ويسود الهدوء فى المنطقة ويتفرغ لتبليغ رسالة الله تعالى ونشر التوحيد فى المنطقة بدلاً من القتال.

• الخروج إلى خيبر:

خرج النبى لغزو خيبر وعندما علم بذلك عبد الله ابن أُبى بن سلول زعيم المنافقين فى المدينة أرسل إليهم يقول: «أن محمدًا قد توجه إليكم، فخذوا حذركم، ولا تخافوا منه فإن عددكم وعدتكم كثيرة، وقوم محمد

شرذمة قليلون، عُزل لا سلاح معهم إلا قليل.

وعلى الرغم من تحذير المنافق عبد الله بن أُبى ليهود خيبر، إلا أن جيش المسلمين استمر بقيادة النبى ﷺ إلى خيبر وعندما أشرق واقترب قال لأصحابه: قفوا، فوقفوا ثم دعا الله تعالى قائلاً:

(اللهم رب السموات وما أظللن، ورب الأرضين وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما أذرين، نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها، ونعوذ بك من هذه القرية، وشر أهلها وشر ما فيها، ثم قال: (اقدموا بسم الله).

• بدء المعركة والهجوم على خيبر:

أعطى النبى ﷺ الرايه لرجل يحبه الله ويحبه هو ﷺ، وذلك قبل الهجوم على خيبر.. أحبائى أتعرفون من هو صاحب هذا الشرف؟ إنه على بن أبى طالب رضى الله عنه وها هى قصته:

قال النبى ﷺ، لأعطينَّ الراية غدًا رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، فلما أصبح الناس ذهبوا

وكلهم يرجو أن يكون هو، ولكن النبى ﷺ قال: أين على بن أبى طالب؟

فقالوا: يا رسول الله هو يشتكى عينيه.

قال: فأرسلوا إليه.. فجاؤا، فبصق رسول الله ﷺ فى عينيه ودعا له فبرئ، كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا، قال: انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله، فوالله لأن يهدى الله بك رجلاً واحد، خيرًا لك من أن يكون كل حمر النعم. ثم انطلق الجميع تجاه خيبر.

• الله أكبر خربت خيبر:

عندما اقترب النبى ﷺ من خيبر كان الوقت ليلاً فانتظر حتى الصباح فلما أصبح دخلها وأهلها لا يشعرون، فلما رأوا الجيش قالوا: محمد والخميس (أى الجيش الكبير) وهربوا إلى حُصونهم.. فقال النبى ﷺ: الله أكبر خربت خيبر.. الله أكبر خربت خيبر. إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين.

• الحصار والحصون:

عسكر النبى ﷺ فى مكان اختاره لحصار خيبر حتى يستسلموا، ولكن جاءه الصحابى الجليل حباب بن المنذر فقال: يا رسول الله أرأيت هذا المنزل أنزلكه الله أم هو الرأى فى الحرب.

قال النبى ﷺ: بل هو الرأى (أى ليس وحيًا من الله تعالى) فبين هذا الصحابى خطورة هذا المكان وانكشافه للأعداء فهم يدرون أحوالهم ولا يدرى المسلمين أحوالهم، كما أنهم قريبون منهم وسهامهم قد تصل إليهم ووصف بخبرته العسكرية المكان الذى يكون أفضل من هذا المكان «فقال له النبى ﷺ: الرأى ما أشرت، ثم تحول إلى مكان آخر غير مكشوف وأكثر أمنًا.

واستمر حصار الحصون وأول حصن هاجمه المسلمون هو حصن ناعم وكانت حصونهم ثمانية وهى:

١ - حصن ناعم.

٢ - حصن الصعب بن معاذ.

٣ - حصن قلعة الزبير.

٤ - حصن أبى.

٥ - حصن النزار.

٦ - حصن بنى أبى الحقيق.

٧ - حصن الوطيح.

٨ - حصن السلالم.

وحصون أخرى ولكنها كانت صغيرة وضعيفة.

وتم الاستيلاء على أول الحصون حصن ناعم ثم حصن بنى أبى الحقيق وأصاب المسلمين من اليهود سبايا من النساء منهم أم المؤمنين فيما بعد (صفية بنت حيى بن أخطب) رضى الله عنها، اصطفاها النبى ﷺ لنفسه وأعتقها ثم تزوجها.

ثم استمر القتال والتضحيات حتى وقعت آخر

حصون خيبر فى أيدى المسلمين وأخطرهم حصن الوطيح والسلالم، ولنا عندهما وقفة لعظمة التضحيات فيهما.

• فتح حصن الوطيح والسلالم:

حاصر النبى ﷺ حصن الوطيح والسلالم عشر ليال، وحدثت مبارزات كاستعراض للقوة ورفع الروح المعنوية نذكر منها:

مبارزة اليهودى مرحب إذ خرج من الحصن يطلب المبارزة وهو ينشد:

قد علمت خيبر أنى مرحب

شاكى[1] السلاح بطل مجرب

أطعن أحيانًا وحينًا أضرب

إذ الليوث أقبلت تحرب[2]

فرد عليه على بن أبى طالب رضى الله عنه قائلاً:

---

(١) حاد السلاح.

(٢) أى مغضبة.

أنا الذى سمتنى أمى حيـدرة

كليث غابات شديد القسـورة

أكيلكم بالصاع كيل السندرة[١]

فقال رسول الله ﷺ: من لهذا؟

فقال محمد بن مسلمة: أنا يا رسول الله.. فقال له (فقم إليه.. اللهم أعنه عليه) ودخل يبارزه حتى قتله.

ثم بارز الزبير بن العوام أخو مرحب واسمه ياسر وقتله ثم حدث القتال بعد ذلك فى ضراوة حتى انتصر المسلمين ووقعت جميع الحصون.

• موقف إيمانى فى غزوة خيبر:

المواقف كثيرة ولكن أروعها موقف راع أسود!! جاء إلى النبى ﷺ عندما كان مُحاصراً لبعض حصون خيبر فقال: يا رسول الله اعرض علىَّ الإسلام فعرض عليه الإسلام فأسلم.

ثم قال: يا رسول الله. إنى كنت أجيرًا لصاحب

(١) السندرة: شجرة يصنع منها مكاييل العظام.

هذه الغنم وهى أمانة عندى - فكيف أصنع بها.

قال: «اضرب فى وجهها فإنها سترجع إلى ربها».

فأخذ الراع الأسود حفنة (بعض) من الحصى ورمى بها فى وجهها فقال: ارجعى لصاحبك...

فرجعت كأن سائقًا يسوقها حتى دخلت الحصن، وتقدم يقاتل فأصابه حجر فمات فغطوه بثوب، وأعرض عنه النبى ﷺ فقيل له: لم أعرضت عنه يا رسول الله؟.

قال: (إن معه الآن زوجتيه من الحور العين).

• قدوم جعفر بن أبى طالب:

جاء جعفر بن أبى طالب ابن عم النبى ﷺ وأصحابه، ومعهم الأشعريون أبو موسى وأصحابه حين فتح النبى ﷺ خيبر قادمين من عند النجاشى بالحبشة، ولما قدم جعفر على النبى ﷺ تلقاه وقبله، وقال: والله ما أدرى بأيهما أفرح؟ بفتح خيبر أم بقدوم جعفر.

• الشاة المسمومة:

بعدما فتح النبى ﷺ خيبر قدَّمت امرأة اسمها (زينب بنت الحارث) امرأة رجل اسمه سلام ابن مشكم اليهودى شاة مسمومة هدية للنبى ﷺ فأكل منها صحابى هو بشر بن البراء رضى الله عنه فمات وقبل أن يأكل النبى ﷺ ذراع الشاة أخبرته بأنها مسمومة، وكان قد أخذ مضغة فلفظها، ودعا المرأة اليهودية فاعترفت بجريمتها فقال لها: ما حملك على ذلك؟

قالت: أردت إن كنت ملكًا استرحنا منك، وإن كنت نبيًا لم يضرك، فعفا عنها، فأسلمت وقيل والله أعلم لما مات بشر من أثر السم قتلت به.

هذه هى أهم أحداث غزوة خيبر وتركها النبى ﷺ وجعل يهود خيبر يزرعون الأرض ويهتمون بها مقابل أن يأخذوا نصف ما زرعوا، وذلك بدلاً من طردهم فكان هذا هو الاتفاق بينه وبينهم.

• يهود فدك يصالحون النبى ﷺ:

عندما فتح النبى ﷺ حصون خيبر نزل الرعب بما

بقى من اليهود ممن يجاورهم ومنهم أهل فدك.

فبعثوا إلى رسول الله ﷺ يصالحونه على التصف من فدك ولا يتعرض لهم بالقتال، فصالحهم على ذلك وكان رئيسهم يوشع بن نون اليهودى.

وبعد.. فإن هذه الغزوة قد استشهد فيها من المسلمين ستة عشر رجلاً وقيل غير ذلك، أما عدد قتلى اليهود ثلاثة وتسعون قتيلاً.

ولم يرجع النبى ﷺ إلى المدينة وإنما ذهب إلى وادى القرى، وكان فيها يهود لم يفعلوا كما فعل أهل فدك فقرر أن يغزوها، وها هى أحداث هذه الغزوة باختصار والله المستعان.

• غزوة وادى القرى:

ذهب إليهم النبى ﷺ بعد فتحه لخيبر وحاصرهم عدة ليال، وافتتحها عنوة وأثناء الحصار قُتل مولاه مدغم، أصابه سهم فقتله.

فقال بعض المسلمين: هنيئًا له الجنة.

فقال رسول الله ﷺ: (كلا، والذى نفس محمد بيده إن شملته الآن لتشتعل نارًا) وهذه الشملة كان قد أخذها دون حق من مغانم خيبر وهى سرقة جعلته فى النار والعياذ بالله تعالى منها.

وحدثت فى هذه الغزوة مبارازات قتل فيها من يهود ووادى القرى أحد عشر رجلاً وكلما مات منهم رجلاً دعاهم النبى إلى الإسلام حتى استسلموا وأعطوا ما بأيديهم.

وأقام النبى ﷺ بوادى القرى أربعة أيام وقسم الغنائم على أصحابه وترك النخل والأرض بأيدى اليهود يهتمون بها ولهم أجورهم مما يزرعون وعاملهم كما عامل يهود خيبر.

• يهود بنى تيماء:

ثم استسلم يهود بنى تيماء دون مقاومة نتيجة الخوف والرعب بعدما فتح النبى ﷺ خيبر واستسلم أهل فدك ومن بعدهما وادى القرى بعثوا للنبى يطلبون الصلح

وقبل النبى ﷺ ذلك منهم وألزمهم بالجزية وأخذ عليهم عهدًا وكتب لهم كتابًا بأنه لا عداء ولا جلاء.

وبعد كل هذه الأحداث عاد النبى ﷺ إلى المدينة وحدث موقف من الفائدة ذكره هنا للعبرة والعظة.

• إذا نسيتم الصلاة فصلوها:

إذا نسيتم الصلاة فصلوها سبب هذه المقوله من النبى ﷺ إنه عند عودته من خيبر بلغ به الجهد والتعب فقال ﷺ: (من رجل يحفظ عنا الفجر لعلنا ننام؟).

فقال بلال: أنا يا رسول الله، ونام رسول الله ﷺ ونام الناس وقام بلال يصلى، فصلى ما شاء الله ثم جلس وأخذه النوم فنام فلم يوقظهم حتى طلعت الشمس.

فقام النبى ثم أصحابه وقال: ماذا صنعت يا بلال؟

قال يا رسول الله أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك قال: صدقت وتوضأ وتوضأ الناس ثم أمر بلالاً فأذن وصلوا سنة الفجر، ثم أقام بلال الصلاة فصلوا صلاة

الصبح، ثم اقبل النبى ﷺ على الناس وقال: (إذا نسيتم الصلاة فصلوها إذا ذكرتموها، فإن الله تعالى يقول: ﴿وأقم الصلاة لذكرى﴾ (طه: ١٤).

نعم فالصلاة لا يتركها العبد إلا لعذر قوى، وكان هنا النوم ولكن كما رأيتم أخذ النبى ﷺ بالأسباب وترك بلال حتى يوقظهم فلما أخذه ما أخذهم من النعاس عذره رسول الله ﷺ وطلب من الناس قضاءها، وهكذا يجب علينا أن نُحذر من تركها دون عذر قوى بعدما نأخذ بالأسباب لقوله تعالى: **﴿واتقوا الله ما استطعتم﴾**.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه / أخيكم الأكبر

سيد مبارك (أبو بلال)